شفشاون وآثارها المعمارية
عبر التاريخ

عبد العزيز ابن عبد الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غمارة قلب منطقة شفشاون - تمتد ما بين نهر النكور شرقا وبلاد الهبط غربا مع قربها من بوغاز جبل طارق أي المجاز التقليدي منذ فجر التاريخ بين العدوتين الجنوبية والشمالية أي بين القارتين الإفريقية والأوربية الأمر الذي جعل منها مهبطا للفينيقيين والرومان وربما فريق من العمالقة وحتى أهل القوقاز ومدينة شفشاون نفسها قائمة على أنقاض مدينة **Appinum** الرومانية (1) ولعل هنالك أثارا عتيقة ترجع لهذا العهد مثل قنطرتي تلمبوط (2) ومدشر (ماكو)شرقي المدينة وقد كان (يوليان) الغماري واليا للمنطقة من قبل القوط باسبانيا قبل

---

1) المجلة الاسيوية - المجلد العاشر ص 152.

2) راجع الحياة السياسية والإجتماعية والفكرية بشفشاون وأجوازها للأستاذ عبد القادر العافية.

انطلاق الفتح الإسلامي على يد موسى بن نصير وطارق بن زياد منذ 88 هـ ولا يزال مسجد ابن نصير قائما بين شفشاون وتطوان وكذلك مسجد الشرافات المنسوب لطارق بن زياد وقد انبثقت في نفس الفترة أيام الوليد بن عبد الملك عام 92 هـ مملكة نكور أو إمارة بني صالح بن منصور الحميري شرقي المنطقة قرب باديس. نعم غزا الإسلام منذ العقود الأولى للفتح قلوب صنهاجة وغمارة فاتجهت الجهود إلى بناء رباط في عهد الأمير (سعيد بن صالح) يحتوي على مسجد بمرافقه يستوحي تصميمه الهندسي من جامع (الأسكندرية) وكان الأسلوب المعماري بسيطا تبعا للفن الشرقي الإسلامي الذي كان لا يزال إذ ذاك في فجر انبثاقه. فجامع عمرو بن العاص (عامل مصر) مثلا خال من كل زخرفة وتنميق كالقربصة والنقشين الخشبي والمرمري وسائر العناصر المعمارية الدقيقة التي امتاز بها الفن العربي في العصور التالية.

ومن هذا الطراز مسجد (أغمات غيلانة) الذي أسس عام 85 هجرية والذي يظهر أنه أول مسجد بناه المسلمون بالمغرب بعد أن حولت المعابد التي بناها المشركون إلى مساجد وجعلت المنابر في مساجد الجماعات (3) وبدأت إفريقيا تتطور روحيا وفنيا على نسق الشرق الإسلامي.

وقد لاحظ الكاتب الفرنسي (جورج مارسي) وهو من كبار مؤرخي الفن الإسلامي أن بلاد المغرب أصبحت منذ القرن السابع الميلادي عبارة عن مرحلة في الطريق الكبرى التي تصل الهند بجبل (البرانس) باسبانيا والتي يطرقها علاوة على رسل الخلفاء وسفرائهم ثلة من الحجاج والطلبة

3/ المغرب لابن عذارى ج 1 ص 37.

والفنانين والتجار (4) فلا يسعنا والحالة هذه، أن نستهين بآثار عهد الإسلام المستديمة والمنبعثة بواسطة هذه المسالك ومن أبرز مظاهر هذا الإشعاع الفني انبثاق مساجد وجوامع تتسم بطابع عربي أصيل وتوجد خاصة بافريقية العناصر الأولية للفن إسلامي.

ولعل أول بوتقة انصهرت فيها مع الأيام مظاهر الفن المعماري الشرقي المغربي هي مدينة فاس التي أقامها المولى إدريس حوالي عام 192 هـ بالموضع المعروف بجراوة وقد أحاط عدوة الأندلس بسور فتح في جوانبه عدة أبواب وجهز المدينة بجامع للخطبة وهو (جامع الأشياخ)

وقد اتجه المرابطون خاصة نحو هندسة المساجد التي لم يعد يخلو منها ربض ولا زقاق لاسيما في فاس كما اهتموا ببناء القلاع على غرار الحصون الأصلية مع الاقتباس في أن واحد من الأندلس. وأول ما تجلى هذا الاقتباس في فاس حيث استقدم يوسف بن تاشفين من قرطبة جملة من صناع طوروا مساجد المدينة وسقاياتها وحماماتها وخاناتها كما استقدم علي بن يوسف المهندسين الأندلسيين لبناء قنطرة (تانسيفت).

انظر المصدر السابق ص 358 ـ 359. وقد أملى علينا هذه المرثية الشيخ احمد حبيب

ثم جاء الموحدون فاستطاعوا بفضل ما أبدعوه من روائع تبوؤ المقام السامي في تاريخ الفن الإسلامي لا سيما في عهد يوسف الذي عاش في إشبيلية حيث زينها بأروع البنايات والمؤسسات العمومية ثم جاء ولده يعقوب المنصور فكان أبدع بناء في تاريخ المغرب الفني وقد

تجلت هذه البدائع خاصة في إشبيلية والرباط ومراكش ومناراتها (خيرالدا وحسان والكتبية) وأصبحت مراكش ببناياتها وقصورها وحدائقها أشبه ببغداد في الشرق كما اشبهت مدينة فاس دمشق في روائها الفني وطبيعتها الخلابة.

ومن خواص الفن المريني النقش على الخشب والجبس والادهان البديعة والشماسيات الملونة والنحاس المموه وترصيع المنارات بالزليج.

أما في عهد السعديين الذي بدأ الفن المعماري يتحجر فيه نسبيا فإنه يمتاز (بقصر البديع) الذي وصفه (الافراني) بأنه يفوق بنايات بغداد روعة وجمالا ورغم هذا التحجر لا يمكن أن يعتبر هذا الفن سوى امتداد للفن المغربي الأندلسي مع مميزات جديدة حيث ان المنصور الذهبي استقدم الصناع والمهندسين من مختلف البلاد وحتى من أوربا.

ومن المآثر السعدية الباقية بعض مساجد مراكش (المواسين والقصبة. وباب دكالة) وقبور السعديين الرائعة وجناحان في جامع القرويين.

وقد كفل العلويون امتداد هذه التقاليد الفنية فجهز مولاي رشيد مدينة فاس بالحصون على غرار بني مرين وأقام مدرسة الشراطين.

أما هندسة المساجد فقد كانت مزيجا من هندسة الدول السالفة.

ومن حيث هندسة البناء الدينية يظهر أن الفن المسيحي لم يترك أثرا يذكر في البلاد حيث ان المغرب نقل عن المشرق طريقته في الزخرفة التي تزدان بها مساجده ومختلف مؤسساته الدينية. وهي الطريقة الإسلامية التي أثارت إعجاب مهندسي الكنائس الرومانية في فرنسا وظهرت آثارها فيما شيدوه بها من معابد خلال القرون الوسطى.

نعم يقال إن ذلك الإشعاع الفني الإسلامي لم تتعد آثاره نطاق الجزئيات (ريكار) ولكن كم يكون فن القرون الوسطى المسيحي جافا وباهتا كما يقول الأستاذ ريكار نفسه - لو أنه خلا من هذه الجزئيات ومن روعة ألوانها وجمال خطوطها.

وبقدر ما كانت مجالي الفن الإسلامي بالريف وشمال المغرب محدودة رغم أوليتها وأصالتها بقدر ما أصبحت مدينة فاس حسب شهادات كبار الأثريين مظهر إعجاز في ميدان التكيف بالطابع الشرقي. ذلك أن الفن اتخذ مناهج جديدة منذ العصر الأموي في كل من الشرق الأدنى والمغرب العربي بفضل مرونة حساسية العرب ومداركهم الإبداعية. فهناك عوامل حدت العرب في الأندلس والمغرب وكذلك بمصر إلى الإستيحاء في زخارفهم من معطيات الهندسة وهذه العوامل هي إهمالهم للأشكال والصور المستمدة من الطبيعة وتعمقهم في دراسة الرياضيات وسعة مواهبهم وأذواقهم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان لفاس أثرها القوي حتى في إفريقيا وبذلك أمسى مهد علماء الإسلام بإفريقيا تابعا لمدرسة برابرة الغرب الإسلامي (4) ويرجع فضل هذه النهضة إلى المولى إدريس الثاني الذي أمد حاضرة العلم بأولى مؤسساتها.

وقد اقام المرابطون عددا كبيرا من المؤسسات الدينية في المغرب الأوسط (جوامع جزائر بني مزغنة وندرومة وتلمسان وكذلك في المغرب مدرسة الصابريين بفاس وبجامع القرويين قد اشعت في ربوعه منذ البداية اهتمامات التجهيز بكل المقومات التي تكفل له الاضطلاع

4، (الفن الإسلامي) جورج مارسي ج 2 ص 469.

بمامورية كمركز للتوقيت ومخبر للتعديلات الفلكية لكل المملكة المغربية. ذلك أنه عندما تولى يحيى بن محمد بن إدريس ملك المغرب (عام 234 هـ) كثر الواردون على فاس فكان ممن قدم من القيروان محمد بن عبد الله الفهري الذي استقر مع ذويه في عدوة القرويين وخلف بعد موته بنتين هما: «فاطمة أم البنين ومريم» وتحصل لهما بالميراث مال كثير طيب ورغبتا أن تصرفاه في وجوه البر فعلمتا أن الناس قد احتاجوا لبناء جامع كبير في كل عدوة من فاس لضيق الجامعين القديمين (5) بالناس فشرعت (فاطمة) في بناء (جامع عدوة القرويين) و(مريم) في بناء (جامع الأندلس) (6).

وقد وقع الشروع في بناء جامع القرويين في رمضان 245 هـ ونصبت قبلته على غرار قبلة (جامع الشرفاء) الذي أسسه المولى إدريس. وكان يحتوي أول الأمر على أربعة بلاطات ابتداء من القبلة. ولكل بلاط إثنا عشر قوسا من الشرق إلى الغرب. وأقيم المحراب مكان (الثريا الكبرى). كما جعل في مؤخرته صحن صغير وصومعة واحتفظ بهذا

---

5) هذان الجامعان الاخيران هما نهاية في البساطة الخلابة وهما خاليان من كل كتابة تنم عن مؤسسهما (الهندسة المعمارية الاسلامية في المغرب مارسي ص (191).

6) أسست القرويين بعد بناء فاس بثلاثة ارباع قرن وقد اختلف في تاريخ بناء فاس. وافرد ليفي بروفنصال بحثا في الموضوع اقتبس فيه من مؤرخين كأبي بكر الرازي المتوفي (عام 344 هـ) والذي يقول بأن باني فاس ادريس الأول الذي جاء الى المغرب (عام 172 هـ) ومات عام (175 هـ) وبنيت المدينة في نظره خلال هذه الفترة. ولا حظ ابن سعيد ان ادريس الأول لم يؤسس سوى عدوة الاندلس ونقل ابن الأبار عن أبي الحسن التوفلي أن ادريس الثاني بنى عدوة القرويين عام 187 هـ يوجد في مكتبة باريس درهم سك بفاس عام 189 هـ اي قبل التاريخ المتداول لبناء المدينة.

الهندام المعماري إلى أن كثرت العمارات واتصل البناء في أرباض المدينة من سائر الجهات وجرى أمر زناتة بأرض المغرب (سنة 307 هـ) فأزيلت الخطبة من جامع الشرفاء لصغره وأقيمت بجامع القرويين لاتساعه وكبره وصنع له منبر من خشب الصنوبر.

وعندما دعت زناتة لعبد الرحمن الناصر ملك الأندلس وبايعه أهل فاس قام العامل (أحمد ابن أبي بكر الزناتي) بتوسيع المسجد منفقا عليه أخماس غنائم الروم» فزاد أربعة بلاطات من الغرب وخمسة من الشرق وثلاثة من الجنوب.

وفي عهد علي بن يوسف اشتريت دور كان أكثرها في ملك اليهود وزيدت في المسجد عشرة بلاطات من الصحن إلى القبلة والقبة بأعلى المحراب «بالجص المقربص الفاخر الصنعة» ورقش ذلك كله بورقة الذهب واللازورد وأصناف الأصبغة (7) وركب في الشماسات التي بجوانب القبلة أشكال متقنة من أنواع الزجاج وألوانه ثم غشيت أبواب الجامع بصفائح النحاس الأصفر بالعمل المحكم والشكل المتقن. (كل ذلك عام 533 هـ) وقد لاحظ (ابن أبي زرع) أن هذا الفن كان يبهت الناظرين فلما دخل (عبد المومن بن علي) (عام 540 هـ) خاف الفقهاء والأشياخ أن ينتقد ذلك النقش والزخرف لأن الموحدين نهجوا سياسة التقشف فغطى البناؤون النقش والتذهيب الذي فوق المحراب وحوله بالكاغد ثم لبسوا عليه بالجص وغسل عليه بالبياض (8).

7/ (الأنيس المطرب ج 1 ص 87).

8/ (الأنيس ج 1 ص 88).

وقد علق (جورج مارسي) على هذا الحدث فزعم أنه قصة ملفقة لتبرير البياض والفراغ الملحوظين في قبة المحراب (9) إلا أن الحفريات التي قامت بها (مصلحة الفنون الجميلة) منذ عام 1952 أكدت حكاية المؤرخ العربي. فقد كشف عن نقوش رائعة غير أنها لاتحتوي على أي توريق ذهبي. وقد لوحظ أن أصناف الأصبغة المشار إليها من طرف (القرطاس) هي الأزرق والأحمر والمغرة الصفراء. ومازالت الألوان متماسكة وفي رائق غضاضتها. ويظهر أن مزيج الأصباغ كان يحتوي على مح البيض الذهبي اللون وأن الدهان كان كامدا للتخفيف من بريق أشعة النور المنعكس من النوافذ.

فالمواد الأساسية للبناء كانت تشكل في القرن الثالث الهجري من الآجر والجص والطوب والطوابي فسور (جراوة) (10) مثلا بني بالطوب عام 257 هـ وكذلك (رقادة) بإفريقية عام 294 والبصرة الواقعة شمالي المغرب على بعد 18.5 كم شرقي سوق الأربعاء والمهدية عام 368 هـ هذا بينما استعمل البناؤون الجص والمرمر والآجر في جامع القرويين لدى تجديد بنائه على يد الأندلسي محمد بن حمدون (11).

9/ (كتاب الفن الاسلامي طبعة 1926 ج 1 ص 302 وقد اكد (مارسي) هذا الزعم في الكتاب الذي صنفه عام 1954 وهو «الهندسة المعمارية الاسلامية في الغرب» (ص 88) الا أن الاستاذ طيراس. أيد مقالة ابن ابي زرع.

10/ تقع (جراوة) حسب الادريسي قرب مليلية على مسافة ستة أميال من البحر (مختصر النزهة ص 54).

11/ وبني اسواره (ابن الاشمت) عام 246 . البيان لابن عذارى (ج 1 ص 85).

وقد أكد المؤرخ الفرنسي طيراس (12) لدى حديثه عن الفن المرابطي أن عليا بن يوسف بن تاشفين فاق والده بكثير في المؤسسات المعمارية. مع أن يوسف نفسه كان من كبار البناة والمؤسسين وقد اندثرت أعلام جميع ما أقامه من قصور ومساجد في مراكش باستثناء قبة البردعيين (قرب جامع ابن يوسف) ومسجد تلمسان (عدا منارته) ومعظم أروقة جامع القرويين الزاخر بروائع الفن الأندلسي المقتبس طبق الأصل من الفن الأندلسي بما كان ينطوي عليه في القرن الخامس الهجري من رقة ورشاقة وروعة زخرف.

وقد احتل الموحدون في تاريخ الفن الإسلامي مكانة مرموقة تفوق ما كان للمرابطين في هذا الحقل وذلك بالرغم من معارضة المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية، لبعض مظاهر هذا الفن كالموسيقى والسماع والزخارف والنقوش.

وكان ابن يوسف يقطن في (اشبيلية) التي زخرف معمارها بأبهى وأروع مما زين به حاضرة مراكش. أما ولده (يعقوب المنصور) فإن بدائعه الفنية تشهد بأنه أروع بناء في العصر الموحدي.

وبفضل الموحدين تجلى القرن السادس لبعض علماء الآثار كعصر بلغ فيه الفن الأوج في القسم الغربي من العالم الإسلامي (13).

وتبدو الهندسة المعمارية الموحدية في أجلى وأجل معالمها في مساجد مراكش وحسان (بالرباط) ومرصد الخالدة باشبيلية (14).

12/ تاريخ المغرب ج/ ص 252.

13/ مارسي ـ الفن الإسلامي ج 1 ص 303.

14/ مقتطفات نشرها ليفي بروفنصال في مجلة هسبريس عام 1925، ص 65.

وقد أكد كل من (طيراس) و (باسي) أن (الكتبية) أجمل معبد أقامته الخلافة الإسلامية في المغرب، وأنه يعادل في جدة أسلوبه روائع (الجامع الكبير بقرطبة).

فجامع قرطبة رغم سعته لا يتسم بنفس الطابع من التجانس والتناسق ومع ذلك فإن عددا كبيرا من رؤوس الأساطين في (الكتبية) هو من أصل أندلسي، فالأعمدة الأربعة التي تساند (قوس المحراب) من مخلفات (الفن الأموي) وتوجد أيضا في المسجد الموحدي بقصبة مراكش أعمدة أموية من الصعب وجودها ملتئمة في قرطبة نفسها.

أما (منبر الكتبية) فقد تحدث عنه (ابن مرزوق) في (مسنده) فأشار إلى ما أكده أهل الفن من جودة واتقان ترصيع (جامع قرطبة) ومسجد (الكتبية) في حين أن المشارقة لاعلم لهم بفن النقش على الخشب بدقة وأناقة. ويرجع تاريخ صنع هذا المنبر إلى (عبد المومن بن علي) (15).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويرى كل من (طيراس وباسي) (16) أن هذا المنبر هو أجمل منبر في الغرب الإسلامي بل أبهى وأروع منبر في العالم الإسلامي أجمع ومازال قائم الذات إلى عصرنا هذا في (الكتبية) إلا أن بعض أجزائه تميل إلى التداعي.

وقد ازدهرت مظاهر الحضارة والعمران في عهد بني مرين الذين أصبحوا أقوى ملوك إفريقيا الشمالية (17) إذ بالرغم عن محتدهم الصحراوي فإنهم استطاعوا بفضل اتصالهم المزدوج بـ (بني نصر) ورثة

15، الحلل، طبعة تونس 109.

16، هسبريس مجلد 6 عام 1926، ص 169.

17، راجع تاريخ افريقيا الشمالية لأندرى جوليان.

الحضارة الأندلسية، وبالموحدين ـ التكيف والانسياق في مجرى الحضارة تبعا للمقتضيات المدنية مع استمداد من معطيات الفكر الإسلامي والمجالي الطريفة في التجديد. وقد تبلور اتجاههم في إقامة المدارس المحصنة والمساجد وقباب الأضرحة والفنادق المزخرفة والمدارس الفخمة التي أضفت على المغرب المريني طابعا خاصا من الروعة والبهاء والتي بدأت تتبلور فيها مجالي الازدواج بين الطابعين الأندلسي والمغربي في شكل جديد سمي بالفن الإسباني الموريسكي.

وبالرغم من التأثيرات الأندلسية التي وسمت هذا الفن فإنه اصطبغ بسمة خاصة إذ عوضا عما كان يذكي المهندس الأندلسي من رغبة في تحقيق التوازن بين القوى في المعالم المعمارية هدف المهندس المغربي إلى ضمان متانة الهيكل بالإضافة إلى ما كان يشعر به من حاجة إلى مزيد من الزخرفة والتنسيق وهذا هو الطابع العام الذي يتسم به مجموع الفن الإسلامي من تسطيرات ناتئة ومقربصات وتلوينات علاوة على روعة الهندام ورغما عما يتسم به هذا الفن المعماري الذي بلغ في العصر المريني أوج عنفوانه من إيغال في التوريق والتسطير والنقش مع قلة توازن بين الأجزاء وعدم جودة المواد فإن المجموع ظل ـ كما يصفه المؤرخ أندري جوليان ـ واضح المعالم متوازي النسب تتجانس نقوشه تجانسا رائعا ضمن الحيز الذي يملأه وهذا بالإضافة إلى ما انطوت عليه الألوان من دقة وجناس كاملين (18) وقد أشع الفن المريني شرقا وغربا بثروته التي لا تضاهى وروعته الطريفة الأصيلة فكان فنا أندلسيا مغربيا تتناسق عناصره في (العدوتين).

---

18) تاريخ افريقيا الشمالية (ص 456).

وهذا التناسق الفني يرجع الفضل فيه إلى نشاط المهندس الأندلسي الذي كان تأثيره ملحوظا في مجموع المآثر المعمارية.

وكان للفنانين والمنتجين المغاربة صيت رائع وحظوة لا بأس بها حتى في الشرق غير أن درجة النضج التي بلغها هذا الفن كانت تنطوي على عناصر انهياره فقد استنفد كثيرا من قواه منذ عهد أبي الحسن وحال قيام الفتن دون تحقيق أعمال عمرانية كبرى بعد ذلك.

واذا كان الفن قد استطاع الصمود في نهاية العهد المريني فما ذلك إلا بفضل العناصر الأندلسية التي هاجرت إلى المغرب، بحيث أصبح المغاربة منذ عهد الوطاسيين عالة في كثير من الفنون والحرف على الأندلس (19) ومع ذلك فإن الفن المغربي الذي نشطت مقوماته العمرانية ظل محتفظا بجودته النادرة رغما عن انعدام الفخامة في مجاليه، ذلك أن وفرة الزخرفة وثراءها وروعتها انتظمت في إطار من الوضوح والدقة لاغبار عليه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي هذه الأثناء بينما كان الوطاسيون في طفرتهم الأولى ضد بني مرين انبثقت كرد فعل لتهاون الوطاسيين في الذب عن حوزة هذا المجال الحيوي بين العدوتين - إمارة علي بن راشد منذ 901 هـ / 1495 م ولعل لجهادها دورا في تحرير بلاد الهبط وعاصمتها القصر الكبير APPIDUM NOVRIM منذ 956 هـ / 1549 وكذلك أصيلا في العام التالي ولم تحل آنذاك مواصلة الصراع ضد المغير

19) كودار ج 2 ص 461.

البرتغالي دون تنشيط العمران بإقامة قصبة بدور سكنها وقصر حاكمها وسجنها ومظاهر الإمارة على النسق المغربي الأندلسي.

وقد استمد بنو راشد تخطيطات العمران من روائع الفن المريني المغربي الأندلسي كما اقتبسوا مواد العمران من منطقتهم الثرية بالحجر الجيري الصلب الذي ساعد على تحصين قلعة أنشئت خصيصا كمركز لتحرير سبتة التي اتخذ منها العدو منذ عام 818هـ / 1415 م منطلقا لمد شبكة نفوذه على مجموع الشمال والواقع أن تخطيط المدينة بدأ عام 876 هـ / 1491 م على يد المجاهد الحسن بن محمد العلمي المعروف بأبي جمعة في عدوة وادي شفشاون واستكمل عمرانها من طرف ابن عمه علي بن موسى بن راشد في العدوة الأخرى فجاءت كفاس متناسقة الحضارة في عداد مدائن المغرب (20). قد تعززت قصبتها وأبراجها وتحصيناتها العسكرية بأبنية امتدت مع هجرة الأندلسيين إليها خاصة في العدوة الجديدة وقد امتزج التزاوج بين أبهة دار الإمارة والجامع الكبير منذ اللحظة الأولى على أن الشبه بفاس لا ينحصر في المحيط الجبلي ووفرة المياه وانقسام الحضرة إلى عدوتين فحسب، بل إن نشاط الصناع والتجار نما بسرعة في أحياء سكنية ما لبثت أن اتسمت بعد بضعة عقود بتقسيمات برز من خلالها الطابع الاقتصادي والحضاري معا. فقامت حومة الأندلسيين تغطي حوالي ثلث سكان الحاضرة ولعل أبرز وجوه الشبه بين فاس وشفشاون هو هجرات الأندلسيين إليهما منذ نشأتهما الواحدة في القرن الثالث الهجري بعد وقعة الربض (ثمانمائة

20/ مراة المحاسن لمحمد العربي الفاسي ـ الطبعة الحجرية بفاس ص 168.

عائلة) والثانية أواخر القرن التاسع الهجري فكانت الجالية الأندلسية مع اشراف جبل العلم أولى الفئات التي عمرت المدينة منذ عام 875 هـ عقبتها بعد نيف وعقد من السنين موجة أخرى انحدرت من غرناطة عام 888 هـ بعد أن مرت بتطوان وكانت لعلي بن راشد في غرناطة جولات وصولات في محاربة النصارى بجانب إخوانه الأندلسيين الذين التحقوا به لمواصلة الكفاح من أقرب حصن بالعدوة الجنوبية وهو شفشاون وكان المفروض أن تغرق الحاضرة الجديدة في تخطيط عسكري رصين ولكن روح الغرناطيين والعلميين الوثابة لم تنس الجانب الحضاري العمراني والاقتصادي ضمانا لنوع من الاكتفاء الذاتي في المنطقة وقد ظلت الوشيجة موصولة بين شفشاون وفاس حيث تواكب أقرباء الغرناطيين في حركة مكوكية ثلاثية مع تطوان وكانت عاصمة المولى إدريس موئل الأسر الشفشاونية العلمية بلورها بفاس الأمير مولاي إبراهيم بن علي بن راشد الذي توفي بها عام 947 هـ وقام أخوه معززا بأفواج جديدة من الأندلسيين كان لها ضلع أقوى في توسيع الأحياء والمرافق العمرانية (21).

وقد برز هذا الهيكل المعماري الرصين كوصلة بين الآثار الإسلامية في الهندسة المعمارية المغربية الأندلسية تواكبت عطاءاتها طوال قرن من الزمن (876 هـ - 969 هـ). في العهد الراشدي ثم ترعرعت عطاءاتها في عهد الشرفاء من السعديين وخاصة العلويين الذين أقاموا معالم نترك للخبراء الأثريين تشخيص معالمها في نطاق البنية المقارنة مع العصور السالفة.

21/ الحياة السياسية للأستاذ عبد القادر العافية نقلا عن تقييد لمحمد الصادق بن رياسون.

كما ركزت وحدتها البنيوية في ثالوث حضاري غرناطي فاسي شفشاون كان من مجاليها وجود أسر أندلسية بالمناطق الثلاث كقرية بنعبد الله جنوبي الأندلس ووادي بنعبد الله في شفشاون وفريق ضخم من بني أولاد بنعبد الله بفاس.

الرباط عبد العزيز بنعبد الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com